المقياس:صناعة المعاجم. **د/ن. حنّاشي**

السنة: *ماستر 2 /لسانيات عربية.*

المحاضرة الخامسة

"المعجمية وعلم اللغة"

لطالما كانت حركة صناعة المعجمات رائدة في مجال التطبيق العملي، حيث سعت إلى إنشاء مراجع لغوية شاملة وموثوقة. وعلى عكس النظريات اللغوية، التي تتسم بطابعها النظري السريع، فإنّ عملية إنشاء المعجم هي رحلة طويلة الأمد، تستغرق سنوات عديدة من البحث والجهد الدؤوب. ففي الوقت الذي تُبنى فيه النظريات اللغوية على أساس افتراضات نظرية، فإنّ المعاجم العملية تُصاغ بعناية فائقة، مستندةً إلى بيانات لغوية حقيقية ومستمدة من الاستخدام اليومي للغة. وبذلك، فإنّ المعجم يتجاوز كونه مجرد تطبيق لنظرية لغوية، بل هو مرجع حي يتطور مع تطور اللغة نفسها. ومع مرور الوقت، قد تصبح النظريات اللغوية التي اعتمد عليها المعجم قديمة بعض الشيء، إلاّ أنّ قيمة المعجم تبقى ثابتة، حيث إنّه يمثل انعكاسًا دقيقًا لاستخدام اللغة في لحظة زمنية معينة، مما يجعله مرجعًا لا غنى عنه للباحثين والمهتمين باللغة[1].

على الرغم من التقدم الهائل الذي حققه علماء اللغة المحدثون في دراسة اللغة بشكل موضوعي ودقيق، إلاّ أنّ مجال المعجمية لم يستفد بشكل كافٍ من هذه النتائج الثورية. فقد أشار "ماركورت" إلى عدم تطبيق المبادئ اللغوية على المعجم الإنجليزي بشكل منهجي، حيث غابت التأثيرات البنيوية في تصنيف الكلمات، واقتصر المعجم على نهج تقليدي في التصنيف. كما انتقد "فاين رايش" معجم "ويستر" الدولي الثالث، أحد أرقى المعاجم الإنجليزية، لعدم احتوائه على أيّ أثر واضح للنظرية اللفظية. إنّ هذه الانتقادات تسلط الضوء على فجوة واضحة بين الأبحاث اللغوية وتطبيقها العملي في المعاجم، ممّا يدفعنا إلى التساؤل حول مدى استفادة المعجميين من الإنجازات العلمية في هذا المجال[2].

تُعرف الفجوة بين النظريات اللغوية والتطبيقات المعجمية بأنّها التباين بين السرعة الهائلة التي تتطور بها النظريات اللغوية الحديثة، والبطء النسبي في تطبيقها العملي في المعاجم. ففي حين أنّ الدرس

---

[1] - أحمد مختار عمر." صناعة المعجم الحديث"، ط2، عالم الكتب،2008م، ص50، 56.

[2] - علي القاسمي. "علم اللغة وصناعة المعجم"، ط2، مطابع جامعة الملك سعود، 1991م، ص 4-5.

اللّساني الحديث يُثقل بكثرة النظريات المتسارعة، فإنّ عملية إنجاز المعجم تستغرق سنوات طويلة من البحث والتدقيق. ونتيجة لذلك، يبقى المعجم محصورًا في قضيتين رئيسيتين: الأولى هي جمع الرصيد المعجمي الهائل وتدوينه، والثانية هي تحديد المنهج الأمثل لتقديم هذا الرصيد بشكل مفيد ومتماسك. إنّ هذه الفجوة بين النظرية والتطبيق تُظهر التحدي الكبير الذي يواجهه المعجميون في مواكبة التطورات السريعة في مجال اللغة، مما يدفعهم إلى إيجاد حلول مبتكرة لجسر هذه الهوة[3].

إنّ الصناعة المعجمية، على الرغم من كونها قامت لأغراض عملية، إلاّ أنّها استفادت بشكل كبير من النظريات اللسانية المختلفة. فالنظريات اللغوية، بطبيعتها المتسارعة والتطور المستمر، تُشكل مصدر إلهام للمعجميين، حيث يجدون فيها أفكارًا ومفاهيم يمكن تطبيقها في بناء المعاجم. ومع ذلك، فإنّ عملية إنشاء المعجم هي رحلة طويلة الأمد، وقد تستغرق سنوات عديدة، ممّا يعني أنّ المعجم قد يصبح قديمًا أو غير متوافق مع النظرية اللغوية التي بُني عليها. وبالتالي، فإنّ المعجميين يواجهون تحديًا كبيرًا في مواكبة أحدث النظريات اللغوية، مع الحفاظ على دقة وموثوقية المعجم. إنّ هذا التوازن بين الاستفادة من النظريات اللغوية وتطبيقها في المعجم هو ما يجعل عملية بناء المعاجم تحديًا مثيرًا ومستمرًا[4].

على الرغم من التحديات التي تواجهها الصناعة المعجمية، إلاّ أنّ المعجميين لم يترددوا في الاستفادة من مختلف القضايا اللسانية التي تثري عملهم. فمن التزامني إلى التعاقبي، ومن الوصفي إلى المعياري، ومن النظمي إلى الاستبدالي، استطاع المعجميون دمج هذه المفاهيم في بناء المعاجم. كما أولوا اهتمامًا كبيرًا للبنية السطحية والبنية العميقة، وحرصوا على اتباع أساليب منهجية دقيقة في جمع المادة اللغوية. إنّ هذه المصطلحات والمفاهيم اللسانية تشكل ركيزة أساسية في الصناعة المعجمية، حيث تساهم في بناء معاجم غنية ودقيقة، وتساعد في مواكبة التطورات اللغوية المستمرة[5].

تختلف الدوافع وراء ظهور المعجمات من حضارة إلى أخرى، حيث تعكس هذه المعاجم ثراءً ثقافيًا ولغويًا فريدًا[6]. فهي جهود علمية وتربوية تهدف إلى ترسيخ أسس معجمية قوية، وتكشف عن مدى أهمية المعجم في الحفاظ على اللغة والآداب والعلوم. ويعتبر المعجم بمثابة خزانة لغوية، حيث يحتوي على كنوز المعرفة اللغوية، ويمثل الوجه المطبق للصناعة المعجمية[7]. كما يسعى المعجميون إلى ربط الرصيد المفهومي

---

[3] -ينظر:علي القاسمي."علم اللغة و صناعة المعجم"، ص 8-10.

[4] -عيسى مومني ."صناعة المعجم العربي الحديث؛ مفاهيم وتقنيات ومناهج"، ص8.

[5] -أحمد مختار عمر."صناعة المعجم الحديث"، ص 23.

[6] -ينظر: حسين نصار."المعجم العربي نشأته و تطوره"، ج1، دار مصر للطباعة، (دت)، ص5.

[7] -ينظر: رشاد الحمزاوي." المعجمية مقدمة نظرية ومطبقة/ مصطلحاتها ومفاهيمها"، مركز النشر الجامعي، 2004م، ص15.

المعجمي العربي بالرصيد الحديث، بهدف فرز الأصيل من الدخيل، والاستفادة من المفاهيم الحديثة التي تثري اللغة وتلبي احتياجات المجتمع المعاصر. إنّ هذه الجهود المعجمية هي بمثابة جسر بين الماضي والحاضر، وتساهم في الحفاظ على التراث اللغوي وتطويره[8].

على الرغم من قدم الأعمال المعجمية، إلاّ أنّ الاهتمام بالعمل المعجمي الحديث قد شهد نهضة ملحوظة في القرن الثامن عشر. ففي الغرب، وضع "بايلي" و"جونسن" أسس صناعة المعجم من خلال معاجمهما الشهيرة، والتي شكلت نقطة تحول في هذا المجال. وفي العالم العربي، مَهَّد "ابن الطيب الفاسي" الطريق للنهضة المعجمية من خلال أعماله المعجمية المتعددة، وخاصّة في شرح "كفاية المتحفظ" و"إضاءة الراموس". وقد ألهبت هذه الأعمال هِمم المعجميين العرب، مما أدّى إلى نهضة معجمية عربية خلال القرن التاسع عشر، حيث برز رواد أمثال: أحمد فارس الشدياق، وإبراهيم اليازجي، وأنستاس الكرملي، الذين ساهموا في تطوير المعاجم العربية وإثرائها[9].

شهدت نظرية الحقول الدلالية تطورًا ملحوظًا في القرن العشرين، حيث أعادت العمل المعجمي إلى حظيرة علم اللغة كفرع أساسي من فروع اللسانيات التطبيقية. فبعد أن أهمل التركيبيون الأمريكيون صناعة المعجم، وتوجهوا نحو فروع أخرى مثل الفونولوجيا والنحو، جاءت نظرية الحقول الدلالية لتسلّط الضوء على أهمية المعجم ودوره المحوري في دراسة اللغة. وقد ساهم هذا التوجه في تغيير النظرة السائدة إلى المعجم، حيث لم يعد ينظر إليه على أنّه مجرد ملحق بالنحو أو قائمة من الاستثناءات، بل أصبح يُنظر إليه على أنّه فرع مستقل بذاته، له قواعده وأسسه الخاصة[10].

لقد أصبح الاهتمام بالصناعة المعجمية أمرًا محوريًا، ليس فقط في الأوساط اللغوية، بل امتد أيضًا إلى المؤسسات التربوية. حيث أصبحت المدارس تخصص دروسًا خاصة لتعليم الطلاب كيفية بناء المعاجم، وتدريبهم على المهارات اللازمة لصناعة المعاجم. ومن خلال تصنيفهم لمفردات القصائد على شكل معجم، يتعلم الطلاب الغاية من المعجم وحدوده، ممّا يُعزّز فهمهم للغة وثرائها. إنّ هذا الاهتمام بالصناعة المعجمية يمتد أيضًا إلى علم المفردات، حيث يدرس الطلاب اشتقاق الكلمات وبنيتها ودلالتها، بالإضافة إلى المفاهيم اللغوية مثل الترادف والاشتراك اللفظي والتضام الاصطلاحي. كما أنّ صناعة المعجم نفسها تعكس معالم الحضارة التي أنتجته، حيث تهدف إلى حفظ التراث اللغوي وتوثيقه[11].

---

[8] - ينظر: رشاد الحمزاوي." المعجمية مقدمة نظرية ومطبقة/ مصطلحاتها ومفاهيمها"، ص 9.

[9] -ينظر: أحمد مختار عمر."صناعة المعجم الحديث"، ص 28.

[10] - ينظر:علي القاسمي."علم اللغة و صناعة المعجم"، ص 6.

[11] -ينظر: رشاد الحمزاوي." المعجمية مقدمة نظرية ومطبقة/ مصطلحاتها ومفاهيمها"، ص 19-20.

تعتمد الصناعة المعجمية بشكل أساسي على علم المفردات، حيث يتشاركان في دراسة الكلمات ومكوناتها ودلالتها. ومع ذلك، هناك بعض الاختلافات الجوهرية بينهما، والتي تجعل من الضروري التمييز بينهما. فعلم المفردات يركز على دراسة الكلمات بشكل فردي، بينما تهتم الصناعة المعجمية بتنظيم الكلمات وترتيبها في سياق معجمي شامل. إنّ فهم هذه الاختلافات يساعد في توضيح العلاقة بين علم المفردات والصناعة المعجمية، ويوضح كيف أنّ كل منهما يُكَمِّل الآخر في بناء المعاجم وتطويرها.

لقد كان الدرس العربي سباقًا في صناعة المعجم في الماضي، إلاّ أنّ الحاجة اليوم تدعو إلى دعم هذا الدرس بآليات لغوية ولسانية منهجية جديدة، لمواكبة التطورات المعاصرة في مجال المعجمية. فمن خلال التركيز على الكلمة كجوهر للمعجم، مع مراعاة الفوارق الدقيقة بين المفردة واللفظة والقول، يمكن بناء معاجم عربية حديثة ومتطورة. إنّ فهم مستويات الدرس اللغوي، وتصنيف الكلمات وفق مقولات صرفية ونحوية ومعجمية، يساهم في إثراء المعاجم العربية، ويجعلها أكثر شمولية ودقة. كما أنّ التركيز على الثلاثية الأساسية في النظرية التوليدية، وهي الصوتية والدلالية والنحوية، يضيف بعدًا جديدًا للمعجم، ويجعله أداة مركزية في الخطاب اللغوي[12].

إنّ صناعة معجم شامل ومتكامل للغة العربية هو تحدٍ كبير، حيث يتطلب استيعاب جميع ألفاظ اللغة في مدونة معجمية منظمة ومفيدة. ومن أجل تحقيق ذلك، يجب مراعاة عدة عوامل مهمة، مثل طريقة ترتيب الكلمات وتعريفها، ونوع المعلومات التي يجب تضمينها. فعلى سبيل المثال، يجب أن يشتمل المعجم على تعريفات واضحة ودقيقة للألفاظ، مع مراعاة أصل الكلمة وفرعها، والقياس اللغوي، والإحاطة الشاملة، والإجازة اللغوية، والتقريب في المعنى.

إنّ بناء معجم بهذه المواصفات هو بمثابة توفيق بين المعجمية وعلم اللغة، حيث يجمع بين الدقة العلمية والوظائف العملية. ومن هنا، فإنّ النص المعجمي هو الاختبار الحقيقي لقدرة المعجم على أداء وظائفه، وتحقيق التوازن بين المعجمية والنظريات اللغوية. إنّ هذا التوفيق بين العناصر المختلفة هو ما يجعل المعجم أداة قوية وفعالة في خدمة اللغة والمجتمع.

[12] - ينظر: رشاد الحمزاوي." المعجمية مقدمة نظرية ومطبقة/ مصطلحاتها ومفاهيمها"، ص26-37.